أهمية السعي وأثره في بناء المجتمع في ضوء الكتاب والسنة

الاستاذ المساعد الدكتور عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٥/١٠/١٩

ملخص البحث

اهمية السعي ، وأثره في بناء المجتمع في ضوء الكتاب والسنة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

إن هذا البحث يجيء لرد شبهة وهي : إن الاسلام دين يدعو الى الكسل ، والتواكل، وهذا اولاً ، ولبيان أصالة المنهج الاسلامي في البناء والانشاء، وهذا ثانياً.

قدمت لهذا البحث بتمهيد اشرت فيه الى طبيعة المنهج الاسلامي، وطريقة عمله في الحياة ، وهو أنه منهج الهي يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم، وليس عن طريق خارقة الهية.

بين البحث النقلة البعيدة التي حصلت في حياة الذين خوطبوا بهذه القرآن اول مرة، وذلك من خلال المفاهيم الجديدة التي طرحها، فعمل على شحذ طاقاتهم ، وشد همتهم، فدعاهم القرآن الكريم الى المسارعة، والسبق، والتنافس ، وأورد لهم كثيراً من الامثلة التي تحفزهم على ذلك ، وبين لهم ضرورة ان يتحرك الانسان من اجل الوصول الى الهدف الذي يسعى اليه.

وكذلك اشارت احاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الى اهمية السعي ، وأثره في بناء المجتمع ، وجعلتها في محاور كي تكون الصورة أكثر وضوحاً، ودلالة على المراد، وهذه المحاور هي:

١- الاحاديث التي اشارت الى اهمية العمل ليسد الانسان حاجته بنفسه.
٢- الاحاديث التي اشارت الى تعمير الارض، واهمية الغرس.
٣- الاحاديث التي ارشدت المسلم الى ان يكون انساناً ساعياً من اجل الخير.
٤- الاحاديث التي دعت المسلم الى نبذ الخرافات والاوهام التي تقعده عن تنفيذ ما كان قد خطط له.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد، وعلى آله ، وصحبه أجمعين.

أما بعد :

كتب الكتاب الاسلامي الكبير الاستاذ محمد قطب في مقدمة الطبعة السادسة من كتابه الشهير ((شبهات حول الاسلام)) مانصه : ((لم يكن في حسابي ، وأنا أكتب هذا الكتاب منذ سنوات ، أنه سيلقى كل هذا الإقبال ، وكل هذا التقدير . وحين أعيد طبعه مرة ، ومرة ، ومرة ، حمدت لله ما أولاني من نعمائه، وشكرت للقراء اهتمامهم بما يحويه الكتاب من موضوعات. ولكني ظننت أنه لامجال لإعادة طبعه بعد ذلك ، فقد آن – في نظري – أن نتحول من الحديث عن الشبهات الباطلة التي يطلقها أعداء الاسلام ليشغلونا بالرد عليها إلى الحديث عن الاسلام ذاته، في شتى مجالاته، وفي صورته الانشائية الايجابية البناءة المهيمنة على الحياة، كما صنعت في الكتب التالية لهذا الكتاب .

ولكني حين قرأت كتاب ((الاسلام في التاريخ المعاصر)) للمستشرق ((ولفرد كانتول سميث))، ووجدته يشير في ثلاثة مواضع إلى كتاب الشبهات إشارات حانقة مغيظة تصل إلى حد السباب ، رأيت أن الكتاب الذي يثير حنق الصليبية الحاقدة إلى هذا الحد ينبغي أن يبقى، وان يعاد طبعه مرة، ومرات.))[1].

وضمن هذين الاتجاهين يجيء هذا البحث، لردّ شبهة، وهي : أن الاسلام دين يدعو إلى الكسل ، والتواكل ، وهذا أولاً ، ولبيان أصالة المنهج الاسلامي في البناء والإنشاء، وهذا ثانيا.

لقد رأيت من الضروري أن أقدم لهذا البحث بتمهيد أشير فيه إلى أمر يغيب عن بال كثير من الناس ، ذلك الامر يتعلق بطبيعة المنهج الاسلامي، وطريقة عمله في الحياة. إن هذا المنهج منهج إلهي للحياة البشرية، يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم ، وليس عن طريق خارقة إلهية، وهذا هو الفرق بين منهج هذا الدين، والمناهج السماوية التي سبقته. وهذه الحقيقة جلاها القرآن الكريم ، ووضحها أبلغ توضيح، فقال : [إِنَّ

*قسم علوم القران والتربية الاسلامية - كلية التربية للبنات- جامعة بغداد

[1] مقدمة الطبعة السادسة لكتاب ((شبهات حول الاسلام)) للأستاذ محمد قطب: 5.

﴿ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [١] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [٢] ، وغيرها من الآيات.

وتضمن البحث الحديث عن أهمية السعي، وأثره في بناء المجتمع استناداً إلى ماورد في القرآن الكريم، وإلى ماورد في السنة النبوية . ولقد قدمت لذلك بمقدمة بسيطة أشرت فيها إلى حقيقة النقلة الكبيرة التي حصلت في حياة الذين خوطبوا بهذا القرآن أول مرة، ذاكراً طرفاً من الواقع المزري الذي كانوا يعيشونه فكرياً، وسياسياً، واجتماعياً، ليتبين لنا عند ذاك – بجلاء – حقيقة التغيير الذي تم في حياتهم، وأثر المنهج الجديد الذي صاغ تلك الحياة.

والله أسأل أن يجعل هذا البحث الذي كتبته خدمة لديني في صحيفة أعمالي ، وان ينفع به.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله، وصحبه ، وسلم تسليماً كثيرا.

تمهيد

أرى من الضروري قبل الحديث عن أهمية السعي، وأثره في بناء المجتمع في ضوء الكتاب والسنة، أن أتحدث – ولو بصورة موجزة – عن طبيعة المنهج الاسلامي ، وطريقة عمله في الحياة ، لعلاقته الوثيقة بموضوع البحث ، ولعدم معرفة كثير من المسلمين طبيعة هذا الدين، ومنهج عمله في واقع الناس، لأسباب ليس هذا البحث موضوع بحثها.

إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية ، يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفهسم، وليس عن طريق خارقة إلهية، وهذا هو الفرق بين منهج هذا الدين، والمناهج التي سبقته، فاننا إذا نظرنا إلى تاريخ الرسالات في الأرض، منذ رحم الله – تعالى – الخلق بإرسال الرسل ، وجدنا موكب الرسالات لايتعدى أن يأتي الرسول بمنهج ربه، مؤيداً بالمعجزة التي تؤكد صدقه في التبليغ عن الله، وليس عليه إلا ذلك ، فليس عليه أن يتدخل ليحمل الناس على أن يقولوا كلمة الحق، وليس له أن يتدخل ليفرض قوة على قوة، ولكن السماء هي التي كانت تتدخل. فحين يلجّ الباطل في عناده، وينصرف الناس عن الحق، هنا تتدخل السماء لتأديب هؤلاء، ففي الآية : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ [٣] ، لذلك نجد قوماً أغرقهم الطوفان، وقوماً خسفت بهم الأرض، وآخرين أخذتهم الصيحة، وغيرهم أُهلكوا بالطاغية، وهكذا [٤] .

ولعل السبب في ذلك أن الانسانية لم تكن قد بلغت رشدها، ولأن المنهج المستوعب لكل كمالات الوجود لم يكن قد جاء بعد ، فالمناهج تطورت حسب تطور العقل البشري، وعندما وصلت البشرية إلى مرحلة صارت مستعدة فيها لإنزال منهج عام يشمل الدنيا كلها: زماناً، ومكاناً، وتشريعاً، مستوعباً لأقضية الحياة كلها، جاء هذا المنهج الذي أراده الله أن يكون كلمته الأخيرة للبشر، ومن ثم أناط مهمة تحقيقه لجهد البشر أنفسهم [٥] . وهذه الحقيقة جلاها القرآن الكريم ، ووضحها أبلغ توضيح، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[٦] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٧] ، وغيرها من الآيات .

وهذه هي الحقيقة التي شاء الله – تعالى – أن يعلمها للجماعة المسلمة – وكما يقول صاحب كتاب (هذا الدين) – في غزوة أُحد، حينما لم تنتبه لها، فغفلت عنها، أو نسيتها، وفهمت أن من مقتضى كونها مسلمة أن تنتصر حتماً ! ، فقال لها الله I راداً على تساؤلها : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [٨] ، وقال لها : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾[٩] .[١٠]

ولقد تعلمت الجماعة المسلمة هذه الحقيقة في هذه الغزوة، لا بالكلام، ولا بالعتاب، ولكن تعلمتها – مع هذا – بالدماء، والآلام، ودفعت ثمنها غالياً: هزيمة بعد نصر، وخسارة بعد غنم ، وجراحاً لم تكد تدع أحداً معافىً، وشهداء كراماً فيهم سيد الشهداء حمزة τ ، وأغلى من ذلك كله، وأشد وقعاً على الجماعة المسلمة كلها: جرح

---

[١] سورة الرعد : ١١.
[٢] سورة العنكبوت : ٦٩.
[٣] سورة العنكبوت : ٤٠.
[٤] النص القرآني الذي ذكر الاقوام ، وما حل بهم هو : ((وقارون ، وفرعون، وهامان، ولقد جاءهم موسى بالبينات، فاستكبروا في الارض، وماكانوا سابقين . فكُلاً أخذنا بذنبه: فمنهم مَنْ ارسلنا عليه حاصباً ، ومنهم مَنْ أخذته الصيحة، ومنهم مَنْ خسفنا به الارض، ومنهم مَنْ أغرقنا، وماكان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)).سورة العنكبوت : ٣٩-٤٠.
[٥] ينظر: الإسلام بين الإقناع والجهاد للمرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي:٧-٨.
[٦] سبق تخريج هذه الآية الكريمة في المقدمة.
[٧] سبق تخريج هذه الآية الكريمة في المقدمة.
[٨] سورة آل عمران : ١٦٥.
[٩] سورة آل عمران : ١٥٢.
[١٠] هذا الدين للأستاذ سيد قطب : ١٠-١١.

رسول الله ρ ، وشجّ وجهه الكريم ، وكسر رباعيته في فمه الشريف [١] .

وهكذا ، فان هذا المنهج انما يتم تحقيقه بجهد البشر أنفسهم، وفي حدود طاقتهم البشرية ، إذن فالسعي ضروري في هذا الدين ، وفي بناء المجتمع الذي يقوم على المنهج الذي جاء به هذا الدين.

لكي نتصور النقلة البعيدة التي حصلت في حياة الذين خوطبوا بهذا القرآن أول مرة، وعاصروا الرسول ρ ، لابد لنا أن نعرف الواقع الذي كانوا يعيشونه فكرياً، وسياسياً، واجتماعيًا ، وعند ذاك يتبين لنا بجلاء حقيقة التغيير الذ في فمفي حياتهم ، وأثر المنهج الجديد الذي صاغ تلك الحياة.

ولا أعتقد أن أحدًا يستطيع أن يصور ذلك أفضل من شخص عاش ذلك الواقع، فلندع سيدنا جعفر بن أبي طالب τ يصور لنا ذلك ، إذ قال في ديوان النجاشي ملك الحبشة عندما سأله عن السبب الذي من أجله فارقوا دين آبائهم، ولم يدخلوا في دينه، قال : ((أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الاصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، ...)) [٢] .

وهكذا أشار سيدنا جعفر إلى طرف من الحالة المزرية التي كان يعيشها عرب الجاهلية، حيث كانت عبادة الاصنام شائعة بينهم، فكان في الكعبة وحدها (٣٦٠) صنماً ، وكان لكل قبيلة، بل لكل بيت صنم، وكان أحدهم اذا سافر ، فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها، فاتخذه رباً، وجعل ثلاثة أثافي لقدره، واذا ارتحل تركه، فاذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك [٣] . وهكذا تردى تفكيرهم فيما يتعلق بالألوهية.

وفي الناحية السياسية لم يكن لهم نظام يحكمهم ، وكانوا تبعاً إما للفرس، أو الروم، ولايتم تنصيب أمير عليهم إلا بموافقة إحدى الدولتين، وكان بعضهم داخلاً في حماية الفرس، والآخر داخلاً في حماية الروم[٤] .

اما اذا أردنا الحديث عن الناحية الاجتماعية، فان الحديث عن التردي الموجود في تلك الناحية تُسوَّد فيه المجلدات، فمن تفشي شرب الخمر الذي كان عادة يفتخر بها العربي، إلى ا نتشال الفاحشة ،والبغاء، إلى وأد البنات، واحتقار المرأة ، وعدم اعطائها أي دور في الحياة، وغير ذلك .

في ظل هذا الواقع المظلم بعث الله نبيهρ ، فأخذ يعمل ρ على إعادة تشكيل العقل الانساني ، ومن ثم طرحت تجاهه – وكما يقول الدكتور عماد الدين خليل – آفاق شاسعة، ممتدة الجوانب، بعيدة الحدود، دُعي للتحرك إليها، والاستجابة لنداءاتها، على المستويات كافة: التصورية، والاعتقادية، والمعرفية، والمنهجية، والحضارية [٥] .

وهنا يبرز سؤال مهم، كيف استطاع هذا المنهج من أن يستوعب العقل البشري هذا الاستيعاب المذهل، ويحفزه لتغيرات جذرية، مكنته من إعادة التشكيل، والعمل وفق صيغ جديدة لم يألفها قبل انسان؟

وللجواب على هذا السؤال نقول : اننا نستطيع ان نلحظ تأثير السعي والحركة التي عمل المنهج الاسلامي على ايجادها في المجتمع من خلال المفاهيم الجديدة التي طرحها، وعمل على أن يرتقي الناس في سلم الترقي الذي نوّع درجاته، والذي يبدأ بالاسلام، وينتهي بالاحسان ، مروراً بالايمان [٦] ، فعمل على شحذ طاقاتهم، وشد همتهم، ونفخ في روحهم، ودفعهم دفعاً إلى التجاوز والاختراق من اجل الوصول إلى القمة التي يطمح إليها كل منتمٍ لهذا المنهج ، وهذه القمة هي الاحسان [٧] .

هذا ، وسأقف على بعض الآيات التي أشارت إلى اهمية السعي ، وتأثيره ، لأن الوقوف على جميعها لايتسع مع بحث صغير كهذا .

إن من المعروف أن الناس – في الأعم الأغلب – يمشون إلى الاهداف التي يريدون تحقيقها ، وقد يهرولون إليها في بعض الاحيان، لكننا عندما نطالع آيات القرآن الكريم نجد شيئاً آخر أبعد من هذا، نجد أناساً يركضون، فلقد بعث الاسلام أجيالاً من العدائين الذين عرفوا كيف يحطمون الأرقام القياسية، وهم يجتازون الموانع والمتاريس، ويقطعون المسافات الطوال – اذاجاز

---

[١] هذا الدين : ١١. وعن الأحداث المشار إليها في الغزوة ينظر: المغازي لمحمد بن عمر الواقدي: ٢٢٩/١ ، فما بعدها ، والسيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك بن هشام: ٦٩/٣، فما بعدها.

[٢] السيرة النبوية : ٣٣٦/١.

[٣] ينظر: الأصنام لابي المنذر هشام بن محمد الكلبي: ٣٢-٣٣.

[٤] ينظر: السيرة النبوية : ١٨/١ ، ٦٢ ، وفجر الاسلام لأحمد أمين: ١٦، فما بعدها ، وتاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدولة الاسلامية لرشيد الجميلي : ١١٩-١٢٠.

[٥] ينظر: حول إعادة تشكيل العقل المسلم للدكتور عماد الدين خليل : ١٠.

[٦] اختلف في الايمان والاسلام، فذهب بعض العلماء إلى أنهما شيء واحد ، وذهب آخرون إلى خلاف ذلك، واستدل كل فريق على ماذهب إليه. ينظر في ذلك : المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للامام ابي زكريا يحيى بن شرف النووي: ١٤٤/١-١٤٩ . واما الاحسان فعرفه النبي ρ في حديثه : ((أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فإنه يراك)). ينظر : صحيح الامام مسلم بن الحجاج : ٢٩/١، وهو مطبوع مع شرحه المنهاج.

[٧] ينظر: حول إعادة تشكيل العقل المسلم : ١٢.

لنا التعبير - ، فها هو القرآن الكريم نفسه يصفهم بأنهم : [يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ] [١] ، وأنهم [وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ] [٢] ، فهنا نحن بصدد مؤشرين للسرعة : المسارعة، والسبق [٣] .

وهاتان الآيتان ليستا هما الآيتين الوحيدتين اللتين ذكرتا هذين المؤشرين، وانما هناك آيات أخر أمرت المسلمين بالمسارعة، والسبق، والتنافس، وحثتهم على ذلك، ومن ذلك قوله - تعالى - : [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] [٤] ، وقوله – تعالى - : [سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ...][٥]، وقوله – تعالى - : [إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ] [٦] . وأقف قليلاً عند الآية الأولى لوجود خصوصية لها يمكن الاستفادة منها في موضوعنا، وهذه الخصوصية هي أنها وردت ضمن الآيات التي نزلت في أعقاب الغزوة التي كان النصر فيها أول الامر للمسلمين، ثم دارت الدائرة عليهم بعد ذلك لمخالفتهم الاوامر – غزوة أحد - ، فجاءت هذه الآية في سياق تلك الآيات التي تحدثت عن تلك الغزوة، فشخصت أسباب الهزيمة، وبينت أسباب النصر، وذلك على مدى (٦٠) آية قرآنية، خاض فيها القرآن الكريم معركة مع النفس الانسانية وبيّن لهم ضمن مابيّن – وقد يكون هذا أهم أمر تضمنته تلك الآيات – بيّن لهم أنه لابد لهم من أن يأخذوا بالوسائل التي توصلهم إلى النصر، وأنهم حيثما يقصّرون في اتخاذ الوسائل المناسبة قد يصيبهم ما أصابهم، فلا يكفي أن يكونوا مسلمين ، وعدوّهم مشرك لينتصروا عليه، بل لابد لهم من اتخاذ الوسائل التي توصلهم إلى النصر. ولنستعرض الآيات الكريمات التي وردت بعد هذه الآية التي أمرتهم بالمسارعة، والتي بينت للمسلمين الامور التي لابد لهم من الأخذ بها كي يكونوا من المسارعين، وهي أمور يتجلى فيها عنصر السعي واضحاً، ويشكل عنصراً أساساً فيها، فقال – تعالى-: [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ][٧].

وهكذا حثّ القرآن الكريم المسلم على المسارعة إلى المغفرة، والجنة، ولكي يصل إلى ذلك لابد أن يتحقق فيه وصف التقوى، ثم بيّن القرآن الصفات التي توصل المسلم إلى مرتبة التقوى، فذكر أولاً: الانفاق في حالتي السراء ، والضرّاء، ثم ذكر كظْم الغيظ، والعفو عن الناس، ثم وجّه المسلم إلى أن يكون مرهف الحس تجاه الخطأ، فاذا ما وقع في الخطأ ، فعليه أن يرجع عنه، وأن لايُصر عليه. وبملاحظة هذه الامور التي ذكرها القرآن الكريم، والتي بيّن أنها الطريق إلى التقوى، يتبين بجلاء التأثير الذي يمكن أن تتركه في المجتمع اذا شاعت فيه، فهي عامل مهم من عوامل إشاعة روح الألفة والمحبة بين الناس، وكل هذا له تأثير كبير في استقرار المجتمع، وبنائه بناءً سليماً.

ومن الآيات التي يجدر بالمسلم أن يقف عندها طويلاً، ليتبين من خلالها كيف أن القرآن الكريم نبّه المسلم إلى ضرورة أن يكون إنساناً ساعيًا ، مبدعًا، غير متواكل الآيات في سورة الكهف، والتي وردت في سياق الحديث عن قصة ذي القرنين، وسَيْره في الارض، فقد ذكر القرآن أنه وصل في سيره إلى بلاد بين جبلين[٨] يسكنها أقوام لاتكاد تُعرف لغاتهم ،أو يفهم في الحديث مرماهم [٩] ، ولكنهم قد جاوروا يأجوج، ومأجوج [١٠] ، وكانوا قوماً مفسدين في الارض، وما إن رأى هؤلاء الاقوام المجاورين ليأجوج، ومأجوج ذا القرنين ملكاً قوي البأس، شديد المراس، واسع السلطان، كثير الاعوان، حتى فزعوا إليه ، وطلبوا منه أن يقيم سداً بينهم، وبين جيرانهم أولئك ، يفصل بينهم، ويحول دون

---

[١] سورة (المؤمنون) : ٦١.
[٢] سورة (المؤمنون) : ٦١.
[٣] ينظر: حول إعادة تشكيل العقل المسلم : ١٢-١٣.
[٤] سورة آل عمران : ١٣٣.
[٥] سورة الحديد : ٢١.
[٦] سورة المطففين : ٢٢-٢٦.
[٧] سورة آل عمران : ١٣٣-١٣٥.
[٨] ذكر أكثر المفسرين أن هذين الجبلين في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق. ينظر: تفسير النسفي للامام أبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي: ٢٥/٣ ، وتفسير روح البيان للامام اسماعيل حقي البروسوي: ٥/ ٢٩٦. وجاء في الجامع لأحكام القرآن للامام محمد بن احمد القرطبي : ٥٥/١١ : ((إن هذين الجبلين بين أرمينية، وأذربيجان)).
[٩] وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : [حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا] . الكهف : ٩٣.
(١٠) هما قبيلتان من خلق الله ، لايعرف بالضبط مَنْ هم ، ولاموطنهم. وقيل : هما من ولد يافث، أو يأجوج من الترك، ومأجوج من الجيل والديلم . عن ذلك وما يتعلق به ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٦/١١ ، وتفسير النسفي : ٢٥/٣.

عدوانهم، وعرضوا عليه أموالاً يدفعونها إليه [١] ، ولكنه ردّ عطاءهم. ونقف هنا مع جواب ذي القرنين لهم على عرضهم ذاك ، وكيف ان القرآن أشار إلى أن ذا القرنين عمل على تحريك أولئك القوم – الذين كانوا فيما يبدو عنهم كسالى - ، فهو لم يقم بالتنفيذ لوحده ، وانما أجابهم بقوله: [***مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا***] [٢] ، أي : أعينوني بقوة الأبدان، أي : برجال، وعمل منكم بالابدان، والآلة التي أبني بها السد الذي تريدونه. وهنا أود أن أنقل نص ماذكره الامام القرطبي في تفسيره بهذا الشأن، فقال : ((فهذا ذو القرنين لمّا عرضوا عليه المال في أن يكف عنهم مايحذروه من عادية يأجوج، ومأجوج، قال: لست أحتاج إليه ، وانما احتاج اليكم، فأعينوني بقوة، أي : اخدموا بأنفسكم معي، فإن الاموال عندي، والرجال عندكم ، ورأى أن الاموال لاتغني عنهم ، فانه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه، فيعود بالأجر عليهم، فكان التطوع بخدمة الابدان أولى)) [٣] . ثم بدأ بتشغيلهم ، فقال لهم : [***آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا***] [٤] . فما نحن نلاحظ في هذا النصّ القرآني الأفعال : آتوني، انفخوا، أفرغ، وكلها تدل على السعي، والحركة، والاشتغال، والعمل، فهو طلب منهم أن يتحركوا ، فأمرهم بإحضار زبر الحديد – أي قطع الحديد -، فأتوه بالكثير منها، فجعل يضعها، ويوقد بينها حطبًا، وفحمًا ، حتى إذا جعل مابين الجبلين [٥] مساوياً في العلو لهما، قال : انفخوا على النار بالأكيار – جمع كير، وهو زق ينفخ فيه الحداد على النار - ، حتى اذا جعل ماركبه من الحديد كالنار بإحمائه، قال : هاتوا لي نحاساً مُذابًا أفرغه على الحديد ، فدخل مصهور النحاس بين الحديد ، فالتأم، ولصق بعضه ببعض، فما استطاعت قبيلتا يأجوج، ومأجوج أن يعلوا السد، ولا الصعود إلى أعلاه، لارتفاعه، وملاسته، وما استطاعوا ان يخرقوه، لسمكه ، وصلابته [٦] .

وهكذا تم بناء السد بعد أن قام ذو القرنين بتشغيل أولئك القوم الذين طلبوا منه أن يقوم ببناء السد، لكنه عمل على تحريكهم.

والقرآن الكريم بإيراده هذه القصة ينبه المسلمين إلى ضرورة أن يتحرك الانسان من أجل الوصول إلى الهدف الذي يسعى إليه، وأن لايبقى قاعداً . ويزداد هذا الامر وضوحًا عندما نعلم أن هذه الآيات التي سبق ذكرها آيات نزلت في العهد المكيّ، حيث كان المسلمون مستضعفين، محاصرين من قبل عدوّهم، ولم يكونوا قد أسسوا دولتهم بعد ، وفي هذا إشارة إلى شمولية منهج الاسلام، وأنه ليس منهجًا يهتم بتنظيم جانب واحد، او اثنين من جوانب الحياة.

ولايفوتني أن أقف على آيتين وقف كثير من المفسرين على ماتضمنتهما من أمور لغوية، وهاتان الآيتان وردتا في سورتين مختلفتين، الاولى: وردت في سورة القصص، وهي قوله – تعالى - : [***وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ***] [٧] . والآية الثانية وردت في سورة يس ، وهي قوله تعالى : [***وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ***] [٨] . وقد اعتاد كثير من المفسرين، وكثير غيرهم أن يقفوا عند السبب الذي من أجله قُدّم ذكر الفاعل في الآية الأولى، وقُدّم الجار والمجرور في الآية الثانية، ولكن الأمر أبعد من ذلك بكثير ، وهو ما أشار إليه الفقيه المحدث الوزير العباسي الصالح ابن هبيرة الدوري [٩] ، إذ يقول: ((تأملت ذكر أقصى المدينة، فإذا الرجلان جاءا من بُعْد في الأمر بالمعروف ، ولم يتقاعدا لبُعْد الطريق)) [١٠] ، وهو استخراج لطيف بديع يجعل المسلم يتأمل كيف أن القرآن الكريم أراد منه أن لايبقى قابعًا ساكنًا، وإنما عليه أن يكون عنصرًا مؤثرًا في مجتمعه عن طريق الحركة اليومية التي لابد أن يقوم بها ، فهنا يقفنا القرآن الكريم أمام إنسان سمع دعوة الحق ، فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق، وحينما استشعر قلبه

---

(١) وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : [قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا] . الكهف:٩٤.

(٢) سورة الكهف : ٩٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٦٠/١١.

(٤) سورة الكهف : ٩٦.

(٥) الجبلان هما الصدفان اللذان وردا في النص السابق. والصدفان جانبا الجبلين سُمّيا بذلك لأنهما يتصادفان، أي : يتقابلان. ينظر : تفسير النسفي: ٢٥/٣.

(٦) وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : [فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا] . الكهف ٩٧.

(٧) سورة القصص : ٢٠.

(٨) سورة يس : ٢٠.

(٩) الوزير ابن هبيرة الدوري هو : أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد. ولد في ربيع الآخر سنة ٤٩٩هـ بالدور من أقضية العراق، وقرأ بالروايات على جماعة، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ الفقه . قال ابن الجوزي: وكانت له معرفة حسنة بالنحو، واللغة، والعروض، وتفقه، وصنف في تلك العلوم ... توفي في جمادي الأولى سنة ٥٦٠هـ. ترجمته في : المنتظم في تاريخ الملوك و الامم لأبي الفرج ابن الجوزي : ١٦٦/٨-١٧٠ ، والكامل في التأريخ لأبي الحسن ابن الاثير: ٤٨٠/٩.

(١٠) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة لأبي الفرج ابن الجوزي: ٢٦٩/١.

حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره، فلم يُطق عليها سكوتًا، ولم يقبع في داره بعقيدته، وهو يرى الضلال من حوله، والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره، وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه، وهم يكذبون، ويجحدون، ويتوعدون ، ويهددون، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبّوه على المرسلين[1].

وأصحاب النبي ρ فقهوا هذا الأمر ، فكانوا في حركة دائبة من أجل نشر دعوة الحق ، وتبليغها للناس، فهم لم يكونوا قابعين في دورهم ينتظرون مجيء الناس ليسألوهم، إنما كانوا يسيحون في الأرض، ويبادئون الناس بالكلام، ويحتكون بهم احتكاكًا هادفًا ، ولعل خير مثال على مانقول الأعرابي الذي جاء يسأل النبي ρ عن أركان الاسلام ، إذ أنه كان قد بدأ سؤاله بأن قال للنبي ρ : ((يامحمد، أتانا رسولك ، ..))[2]، وهذا هو شأن المسلم أن يسعى، ويتحرك، ولايبقى قاعدًا. وأود أن أنقل هنا ماكتبه الاستاذ محمد أحمد الراشد في كتابه القيّم (صناعة الحياة) ، إذ قال: ((وقد كنت في الأيام الخوالي ألاطف إخواني، فأفتش على أحذيتهم! ليس على نظافتها، وصبغها، ورونقها، كالتفتيش العسكري، بل على استهلاكها، وتقطعها، والغبار الذي عليها، وأقلبها، فأرى النعل، فمن كان أسفل حذائه متهرئًا تالفًا ، فهو الناجح ، وأقول له : شاهدك معك: حذاؤك يشهد لك أنك تعمل، وتغدو في مصالح الدعوة، وتروح، وتطبق قاعدة : (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى، قال : ياقوم اتبعوا المرسلين) ، وبكثرة حركتك تلف حذاؤك))[3] .

أما الأحاديث النبوية التي أشارت إلى أهمية السعي ، وأثره في بناء المجتمع، فأكثر من أن تُحصى [4] ، ولكنني سأشير إلى بعضها، وأجعلها في محاور كي تكون الصورة أكثر وضوحًا ، ودلالة على المراد، وذلك فيما يأتي:

المحور الاول :

الأحاديث التي أشارت إلى أهمية العمل ليسد الإنسان حاجته بنفسه، فهدف الإسلام الأصيل في أن يكتفي الناس بعملهم الخاص، ومنها ما أخرجه الإمام البخاري – بسنده – عن أبي هريرةτ ، عن النبي ρ قال : ((لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدًا، فيعطيه، أو يمنعه)) [5] . فهنا يحث النبي ρ المسلمين على السعي، وأن لايقعد الواحد منهم دون عمل ، ويسأل الناس ، لأن في السؤال عاراً، ومذلة كبيرة، وتحقيرًا للنفس ، والمسلم يجب أن يكون عزيزاً ، يقول سيدنا حكيم بن حزام τ : ((سألت رسول الله ρ ، فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال : ياحكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولايشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى، ...))[6]، فالاسلام يريد لأتباعه أن يكونوا ذوي أيادٍ عالية دائماً، ولايكون ذلك ، وهم قعود.

ومن ذلك قوله ρ : ((من أمسى كالًّا من عمل يديه، أمسى مغفورًا له))[7]، ففي هذا الحديث الشريف يستجيش النبيρ الشعور الايماني في نفس المسلم ، ويحفزه إلى العمل بأن يربط ذلك بغفران الله – تعالى - . ولاشك أن كل مسلم حريص على أن ينال غفران الله – تعالى -.

ولعل خير مايصور هذا الأمر ما أخرجه الامام البخاري – بسنده – عن المقدام، عن النبيρ قال : ((ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وان نبي الله داود υ كان يأكل من عمل يده)) [8] ، وفي رواية : ((كان لايأكل إلا من عمل يده)) [9] . قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه هذا الحديث في الفتح : ((وفي الحديث فضل العمل باليد، وتقديم مايباشره الشخص بنفسه على مايباشره بغيره. والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على مايعمله بيده لم يكن من الحاجة ، لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله – تعالى-[10] ، وانما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب – رحمه الله – : ١٦/٧-١٧.

(٢) ينظر: صحيح مسلم : ٣٢/١.

(٣) صناعة الحياة : محمد أحمد الراشد : ١١٢.

(٤) وقد مرّ بعضها عند الحديث عن أهمية السعي في القرآن الكريم.

(٥) صحيح البخاري للامام محمد بن اسماعيل : ٧١/٣.

(٦) ينظر: صحيح البخاري: ١٤٥/٢ ، وصحيح مسلم : ٩٤/٣ ، وجامع الترمذي للامام محمد بن عيسى: ٣٦٨/٣ ، والمجتبى من السنن للامام أحمد بن شعيب النسائي : ٦٠/٥-٦٢.

(٧) ينظر: مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد للامام نور الدين أبي الحسن الهيثمي : ٦٣/٤، وعزاه إلى المعجم الأوسط للطبراني الذي لم أقف عليه.

(٨) صحيح البخاري: ٧١/٣.

(٩) ينظر: المسند للامام أحمد بن محمد بن حنبل – رحمه الله - : ٣١٤/٢، وصحيح البخاري: ٧١/٣، ١٩٤/٤-١٩٥.

(١٠) طالع القرآن التي تتحدث عن داود في سورة (ص) آية ٢٦: [يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، ...] .

النبي ρ قصته في مقام الاحتجاج بها على ماقدّمه من أن خير الكسب عمل اليد)) [1] .

ففي هذا الحديث الشريف يبيّن النبي ρ أهمية أن يسدّ الإنسان حاجته بنفسه، ويضرب لذلك مثلاً هو سيدنا داود – عليه الصلاة والسلام-، فإنه كان غنيًا ، وكان خليفة الله – تعالى – في أرضه، ومع ذلك كان لايأكل إلا من عمل يده، ففي ذكره أسوة حسنة.

المحور الثاني :

الأحاديث التي أشارت إلى تعمير الارض، وأهمية الغرس، ومنها: ما أخرجه الامام مالك ، والبخاري ، وأبو داود، أن النبي ρ قال : ((مَن أحيا أرضًا ميتةً ، فهي له)) [2] . فهنا يدعو النبي ρ المسلمين إلى تعمير الارض متخذًا أسلوب الترغيب في دعوته تلك. ولاشك أن تعمير الارض لايمكن أن يتم إلا اذا اتخذ الانسان الوسائل التي توصله لذلك ، وذلك لايتم إلا عن طريق العمل .

وأشير هنا إلى أمر يتعلق بهذه المسألة لأهميته في هذا المقام، وهو : ان العلماء اختلفوا في اشتراط إذن الامام بالإحياء لكي يتملك المحيي الارض، فذهب بعضهم إلى أنه لابد من إذن الإمام بالإحياء [3] ، وذهب الجمهور إلى أنه لايشترط ذلك [4] . وقد نظر أصحاب القول الاول إلى قول النبي ρ : ((مَن أحيا أرضا ميتة، ...)) نظروا إليه على أنه حكم حاكم، فلا يكون حكمًا عامًا، وعليه لايجوز لأحد إحياء الارض الموات إلا بإذن الامام. أما جمهور العلماء فنظروا إليه على أنه صدر عنه ρ كونه مبلّغًا ، ومُفتيًا ، فهو حكم عام ، وعلى هذا : لكل أحد أن يحيي الارض الموات، وتكون له : إذن الامام، أو لم يأذن [5] .

ولاشك في أن ماذهب إليه جمهور العلماء رأي وجيه، لأنه يتفق والمنهج الاسلامي الذي يدعو إلى تعمير الأرض.

ومن ذلك قوله ρ : ((مامن مسلم يغرس غرسًا، إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه، فهو له صدقة، وما أكلت الطير، فهو له صدقة، ولا يرزؤه [6] أحد إلا كان له صدقة)) [7] ، وفي رواية أخرى: ((فلا يغرس المسلم غرسًا ، فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولاطير ، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة)) [8] . فهنا يبين النبي ρ أن للغارس من غرسه صدقات بعدد الآكلين منه، ومثل ذلك – أيضًا - : إحياء الأرض، وحفر الآبار، وشق الطرق والأنهار، فهذا كله يجري ثوابه لفاعله مادام باقيًا [9] . وفي هذا حث للمسلم على الغرس ، وتعمير الأرض، ولايكون ذلك إلا بالعمل.

ولعل خير مايؤكد هذه الحقيقة، وأن الإسلام منهج يدعو أتباعه إلى السعي والعمل، وعدم القعود، والأخذ بالأسباب الحديث العجيب الذي رواه سيدنا أنس بن مالك τ ، قال : قال رسول الله ρ : ((إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لايقوم حتى يغرسها، فليفعل)) [10] ، فهو حديث عجيب ، ولعل آخر ماكان يدور في ذهن السامعين أن يقول لهم رسول الله ρ ذلك ، ولعلهم توقعوا أن يقول لهم رسولهم الذي جاء ليذكر الناس بالآخرة، ويحثهم على العمل لها، ويدعوهم إلى تنظيف ضمائرهم، وسلوكهم من أجل اليوم الأكبر : يوم الحساب الذي تدان فيه النفوس.. لعلهم توقعوا أن يقول لهم: فليسرع كل منكم ، فليستغفر ربه عما قدمت يداه، وليتوجه الله بدعوة خالصة أن يميته على الإيمان، ويقبل توبته، ويبعثه على الهدى... ولعلهم توقعوا أن يقول لهم : أسرعوا، فانفضوا أيديكم من تراب الأرض، وتطهروا، اتركوا كل أمور الدنيا، وتوجهوا بقلوبكم إلى الآخرة. انقطعوا عن كل مايربطم بالأرض. اذكروا الله وحده ، توجهوا إليه خالصين من كل رغبة في الحياة، حتى إذا ذهبتم إلى ربكم، ذهبتم وقد خلصت نفوسكم إليه، فيقبل أوبتكم، ويظلكم بظله، حيث لاظل إلا ظله .

ولو قال لهم ذلك ، فهل من عجب ؟ !

أليس الطبيعي، وقد تيقن الناس من القيامة أن ينصرفوا للحظة المرهوبة؟

أليس الطبيعي والهول المهول على الأبواب أن ينسلخ الناس من كل وشيجة تربطهم

---

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ شهاب الدين المعروف بابن حجر العسقلاني : ٢١٠/٥.

[2] ينظر: الموطأ للامام مالك بن انس : ٢٦/٦، وهو مطبوع بهامش المنتقى شرح موطأ الامام مالك للامام الباجي، وصحيح البخاري : ١٣٢/٣ ، وسنن الامام ابي داود سليمان بن الاشعث: ١٧٨/٣. والارض الموات هي التي لم تعمَّر ، واحياؤها بأن يعمد الشخص لأرض لايعلم تقدم ملك عليها لأحد، فيحييها بالسقي، أو الزرع ، أو الغرس، أو البناء. ينظر: فتح الباري: ٤١٥/٥.

[3] ينظر: الهداية شرح بداية المبتدئ لأبي الحسن المرغيناني : ٤/ ٩٨-٩٩.

[4] ينظر: الموطأ : ٢٦/٦ ، الأم للامام محمد بن ادريس الشافعي: ٢٦٨/٣-٢٦٩ ، المغني للامام ابي محمد عبد الله بن احمد بن قدامة : ١٤٧/٦.

[5] ينظر في ذلك : الفروق للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي: ٢٠٧/١.

[6] يرزؤه ، أي : ينقصه، ويأخذ منه. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي : ٢١٣/١٠.

[7] ينظر: صحيح مسلم : ٢٧/٥.

[8] ينظر: صحيح البخاري: ١٢٨/٣، ١٢/٨ ، وصحيح مسلم : ٢٨/٥، وجامع الترمذي: ٣٠١/٢.

[9] وذلك لأنه داخل ضمن (الصدقة الجارية) التي دعا الاسلام إليها.

[10] ينظر: المسند : ١٩١/٣.

بالأرض، ويتطلعوا في رهبة الخائف، وذهول المرتجف إلى قيام اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى – وماهم بسكارى – ولكن عذاب الله شديد؟ !

فإذا قال لهم رسول الله ρ : لاتقفوا مذهولين مرجوفين مرعوبين، ولكن توجهوا إلى الله أن ينقذكم من هذا الكرب العظيم، أخلصوا له الدعاء، فهو قريب ، يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، ولاتيأسوا من روح الله ، هلموا ، تطهروا، وصلوا إلى الله خاشعين.

إذا قال لهم الرسول ρ ذلك ، فقد وضع البلسم الشافي على الارواح المكلومة، وقد وضع يده الحانية يربت بها على النفوس المهتزة المزلزلة الراجفة، فتطمئن.

ولكن رسول الله ρ لم يقل شيئاً من ذلك كله الذي توقعه السامعون، بل قال لهم أغرب مايمكن أن يخطر على قلب بشر [1] ! قال لهم: ان قامت الساعة ، وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لايقوم حتى يغرسها، فليفعل.

إن هذا الذي قاله الرسول ρ يشير إلى حقيقة مهمة، وهي: ان التعمير ، والبناء أمر عميق في كيان هذا الدين ، إذ نرى الرسول ρ يخاطب المسلمين وهم في أشد اللحظات حرجاً – لحظة قيام الساعة، ومايتبع ذلك من تهدّم نظام الكون – يخاطبهم، ويدعوهم إلى أن يغرس الواحد منهم الفسيلة التي بيده، وفي هذا أكبر دليل على ماذكرناه من أن التعمير، والبناء، وما يؤدي إليهما من أمور عناصر رئيسة يقوم عليها هذا الدين.

المحور الثالث :

الأحاديث التي أرشدت المسلم إلى أن يكون انسانًا ساعيًا من أجل الخير، ومنها : ما أخرجه الشيخان، والترمذي عن صفوان بن سليم، وأبي هريرة –رضي الله عنهما- ، عن النبي ρ ، قال : ((الساعي على الأرملة، والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل)) [2] . ففي هذا النص الشريف يبين النبي ρ الأجر العظيم لمن سعى من أجل سد حاجة الأرملة، والمسكين – وهما دون شك من أحوج الناس إلى العون - ، وهي دعوة منه ρ لأن يسعى المسلم من أجل هذا الهدف العظيم ، ولم يكتف النبي ρ بمجرد الدعوة لذلك، وانما زاد في الترغيب بهذا الأمر بأن جعل أجر مَنْ يقوم به كأجر المجاهد في سبيل الله، أو الذي يصوم النهار، ويقوم الليل.

ومن ذلك ماورد في الحديث الذي رواه الامام مسلم، وابو داود، والترمذي عن أبي هريرةτ ، عن النبي ρ ، وفيه : ((والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه)) [3] . فهكذا أطلق النبي ρ هذا الأمر (العون) بعد أن ذكر قبله اموراً عدة تّحث المسلم على الاخذ بها[4]، أطلق هذا الأمر ليرشد المسلم إلى أن يكون عنصراً معاوناً لأخيه، وليحثه على ذلك .

المحور الرابع :

الأحاديث التي دعت المسلم إلى نبذ الاوهام ، والخرافات التي تُقْعِده عن تنفيذ ماكان قد خطط له . من ذلك ماروه الامام مسلم ، وابو داود ، والنسائي عن معاوية بن الحكم السلميτ ، أنه قال : ((قلت يارسول الله: أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية [5] : كنا نأتي الكُهّان [6] ، قال : فلا تأتوا الكُهّان. قال : قلت : كنا نتطيّر ؟ قال : ذاك شيء يجده احدكم في نفسه، فلا يصدنكم)) [7] . فهنا يسأل الصحابي عن أمور كانوا يفعلونها في جاهليتهم، ومنها : انهم كانوا يتطيّرون – أي : يتشاءمون – من أمور معينة، فكانوا إذا ماعزموا على أمر من سفر، أو غيره ، ووجدوا ذلك الشيء، فانهم كانوا يتركون إتمامه، فبيّن له النبيρ عدم صحة تصورهم ذاك ، وأن عليهم أن يتوكلوا على الله I ، وأن لايلتفتوا إلى ذلك الامر، وأن لايرجعوا عما كانوا قد عزموا عليه قبل أن يجدوه، وقد ورد في حديث عروة بن عامر τ ، قال : ((ذكرت الطِيَرة [8] عند النبيρ ، فقال : أحسنها الفأل، ولاترد مسلمًا، فاذا رأى أحدكم مايكره، فليقل : اللهم لايأتي بالحسنات إلا أنت، ولايدفع السيئات إلا أنت، ولاحول ، ولاقوة إلا بك)) [9] .

---

[1] ينظر: قبسات من الرسول ρ : لمحمد قطب : ١٦-١٧.

[2] ينظر: صحيح البخاري : ٨٠/٧ ، ١٠/٨، وصحيح مسلم: ٢٢١/٨، وجامع الترمذي: ١٣٦/٣، واللفظ أعلاه للبخاري في : ١٠/٨ ، والترمذي.

[3] ينظر: صحيح مسلم : ٧١/٨، وسنن أبي داود: ٢٨٧/٤، وجامع الترمذي: ٣١٩/٢.

[4] وذلك قوله ρ : ((مَن نفّس عن مؤمن كُربة من كُرَب الدنيا نفّس الله عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة، ومَن يسّر على مُعسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة)).

[5] أي اذكر لك أمورًا كنا نفعلها في الجاهلية، يريد : السؤال عن شرعيتها.

[6] الكُهّان جمع كاهن وهو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الاسرار، ومطالعة علم الغيب. ينظر: تفسير روح البيان: ١٤٩/١٠ . وعن أنواع الكهانة ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي : ٢٢٣/١٤.

[7] ينظر : صحيح مسلم : ٣٥/٧ ، واللفظ له ، وسنن أبي داود: ٢٤٤/١-٢٤٥ ، والمجتبى : ١٥/٣-١٨.

[8] الطِيَرة بوزن العِنَبة ، وهو : مايتشاءم به من الفأل الرديء . ينظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي: ٤٠٢.

[9] ينظر:سنن ابي داود : ١٨/٤-١٩.

فهرس المصادر

١- الأسلام بين الإقناع والجهاد : الشيخ محمد متولي الشعراوي. الدار العربية للطباعة . بغداد ،سنة ١٩٧٩م.

٢- الأصنام: ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي. تحقيق: أحمد زكي باشا. المطبعة الأميرية بالقاهرة ، سنة ١٣٣٢هـ -١٩١٤م.

٣- الأم : الامام ابو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت : ٢٠٤هـ) . طبعة الشعب في مصر .

٤- تاريخ العرب في الجاهلية ، وعصر الدعوة الاسلامية: رشيد الجميلي. بيروت – لبنان ، ط/١،سنة ١٩٧٢م.

٥- تفسير روح البيان: الامام إسماعيل حقي البروسوي (ت : ١١٣٧هـ) . دار الفكر.

٦- تفسير النسفي : الامام عبدالله بن احمد بن محمود النسفي (ت : ٧١٠هـ). الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت – لبنان.

٧- جامع الترمذي: الامام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩هـ). مطبوع مع شرحه تحفة الاحوذي للامام المباركفوري. الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت. وهي طبعة مصورة على الطبعة الهندية الحجرية.

٨- الجامع لاحكام القرآن : الامام أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١هـ). الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. سنة ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م. وهي طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية.

٩- حول إعادة تشكيل العقل المسلم: الدكتور عماد الدين خليل. الناشر: مكتبة ٣٠ تموز . نينوى – العراق. مطبعة منير. بغداد، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠- الذيل على طبقات الحنابلة: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ). الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت – لبنان.

١١- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ). تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد . دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان.

١٢- السيرة النبوية : أبو محمد عبدالملك بن هشام (ت : ٢١٨هـ) . حققها، وضبطها، وشرحها، ووضع فهارسها: مصطفى السقا، وابراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي. ملتزم الطبع والنشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . ط/٢،سنة ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

١٣- شبهات حول الاسلام : محمد قطب .ط/٦.

١٤- صحيح البخاري: الامام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) . مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده. مصر

١٥- صحيح مسلم : الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت : ٢٦١هـ) . مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده. مصر،سنة ١٣٣٤هـ.

١٦- صناعة الحياة: محمد أحمد الراشد. مكتبة المجتمع. جده. ط/٢، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الامام أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر (ت : ٨٥٢هـ) . مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده – مصر، سنة ١٣٧٨هـ -١٩٥٩م.

١٨- فجر الاسلام: أحمد أمين . الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت – لبنان. ط/١٠، سنة ١٩٦٩م.

١٩- الفروق : الامام أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن المشهور بالقرافي (ت : ٦٨٤هـ). مطبعة دار إحياء الكتب العربية. ط/١،سنة ١٣٤٤هـ.

٢٠- في ظلال القرآن : سيد قطب . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط/٥، سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

٢١- قبسات من الرسول ρ : محمد قطب . دار الشروق، بيروت ، والقاهرة. ط/٩، سنة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٢٢- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري (ت : ٦٣٠هـ) . راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق. دار الكتب العلمية، بيروت.ط/١،سنة ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٢٣- المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣١٣هـ). دار احياء التراث العربي. وهي طبعة مصورة على الطبعة الأولى بمصر،سنة ١٣٤٨هـ -١٩٣٠م.

٢٤- مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت : ٨٠٧هـ). الناشر: دار الكتاب . بيروت – لبنان. ط/٢، سنة ١٩٦٧م.

٢٥- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت : ٦٦٦هـ). الناشر: دار الرسالة. كويت، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٦- مسند الامام أحمد بن حنبل: الامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت : ٢٤١هـ). المكتب الاسلامي، ودار صادر للطباعة والنشر. بيروت.

٢٧- المغازي: محمد بن عمر بن واقد (ت : ٢٠٧هـ) . تحقيق : د. مارسدن جونس. عالم الكتب. بيروت.
٢٨- المغني : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت : ٦٢٠هـ). منشورات المكتبة السلفية . المدينة المنورة، ومكتبة المؤيد. الطائف.
٢٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج ابن الجوزي. دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا. راجعه وصححه: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت . ط/٢ ، سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٣٠- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) . مطبعة دار إحياء الكتب العربية . مصر.
٣١- الموطأ : الامام مالك بن أنس الأصبحي (ت : ١٧٩هـ) . مطبوع بهامش المنتقى شرح موطأ الامام مالك. الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت. مطبعة السعادة. مصر. وهي طبعة مصورة.
٣٢- الهداية شرح بداية المبتدئ: أبو الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني (ت : ٥٩٣هـ). الناشر : المكتبة الإسلامية. طبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة، سنة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.
٣٣- هذا الدين : سيد قطب . دار الشروق . بيروت، القاهرة. ط/٧، سنة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

The Importance of Effort and its Impact in Building the Society in the Light of the Holy Book and Sunna

Dr. Abdul-Razzaq Ahmed Abdul-Razzaq
Al-Quran Science Dept.-The College of Education for Women
Baghdad University

Abstract

The Importance of Effort and its Impact in Building the Society in the Light of the Holy Book and Sunna.

Thank for God and peace be upon Prophet Muhammad, His hose hold and Companions.

This research is to refute a fault : that Islam as a religioncalls for laziness and dependence and this in first, Second, to show the originality of the Islamic method in building and construction.

This research Starts with an introduction in which I refer to the nature of the Islamic method and its way of work in life: that it is a divine method that is achieved by the effort of the people them selfves and not through a divine extraordinary power:

The research explains the shift in the peoples life who were addressed by this Quran through the new concepts it presents.

This Holy Quran calls people to work fast, to forego and to compete; it gives many examples that instigate people to work and it explains to people how man should move to get the goal he is looking for.

In addition , the sayings of prophet Muhammad –peace be upon him- refer to the importance of effort and its impact in building the society, These sayings are put within axes to make the picture clearer and such axes include:

1. Sayings that refer to the importance of work to satisfy mans needs.
2. Sayings that refer to the earth recoustruction and the importance of implantation.
3. Sayings that guide the Muslim to work for the good.
4. Sayings that call for discarding superstitions, illusions that prevent him from doing what he intends or plans to do.